منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (4396) السنة السادسة عشرة - الأربعاء (20) آذار 2019

WWW. almadasupplements.com

محمد عبد الوهاب

محمد عبد الوهاب يغني في بغداد

لم يـزر الفنان الكبـير محمد عبدالوهـاب ١٩٠٤ -- ١٩٩١ العراق، سـوى مرة واحدة في ربيع عام ١٩٣٢، بمناسبة اقامة المعرض الزراعي والصناعي، وقد تضمنـت تلك الزيـارة الفريدة – على قصرها – العديد من الطرائف.

وقد اقامت الجمعية الزراعية الملكية برعاية مباشرة من الملك فيصل الاول هـذا المعرض لبيان النهضة الزراعية والصناعيـة والعلمية التي يشـهدها العـراق وعهد برئاسـة المعرض الى عبدالنـور، وهو من اعلام اليقظة الفكريـة في العراق الحديث لم يشر الى جهوده الا لماما،

ولعل ما يزين سـيرته اقامته مهرجان سـوق عكاظ سـنة ١٩٢٢، وكان مناسبة وطنية وادبية كبيرة في بداية تأسيس الدولة العراقية.

رفعة عبد الرزاق

بشكل عام، قادها الشـاعر الشـعبي الكبـير الملا عبود الكرخـي، اذ كان يعتقـد ان ذلـك ما يضـيف الى النزعة الوطنية.

غير ان الامر اختلف بعد سنوات قليلة، فقد اشتهر اسم محمد عبدالوهاب ومال الناس الى غنائه الشائق، بعد ان عرض في بغداد اول فيلم له وهو (الوردة البيضاء) ويذكر الاستاذ محمد علي كريم– المذيع العراقي الرائد– ان سينما الرافدين عرضـت الفلم الثاني لعبد الوهاب وهو (دمـوع الحب) عام ١٩٣٦، وقـد توافدت الى دار السـينما اعـداد كبـيرة، وكان مدخـل السـينما ضـيقا بعض الشـيء فتكسـرت جميـع الواجهـات الزجاجية التي تعرض فيها صور الفلم، فاضطرت ادارة السينما الى فتـح جميع ابوابهـا لدخول الجمهـور ولاول مرة امتد عرض فلم (دموع الحب) لاسابيع عديدة.

واذا كان الموضـوع يتناول طرائف وصـور منسية من زيـارة عبدالوهاب لبغداد سـنة ١٩٣٢، فقد اطلعنا في وثائـق البـلاط الملكي المحفوظة في مركـز الوثائق في المكتبـة الوطنية ببغداد على رسـالة موجهـة الى الملك فيصـل الاول مـن الموسـيقار محمـد عبدالوهـاب بعد شـهرين مـن زيارتـه لبغـداد، وتاريخهـا ٢٦ حزيران ١٩٣٢ يلتمس فيهـا تعيين احد اقربائـه ويدعى فهمي خالد علي، خريج مدرسـة الشـرطة في مصـر في احد الوظائـف الحكوميـة في العـراق، وعندمـا استفسـر الملـك فيصـل مـن رئاسـة الديـوان الملكـي عـن وجود وظيفة شـاغرة لتعيينه اخبر بعدم وجودها في الوقت الحاضـر، مما دعا رشـيد عال الكيلاني رئيس الديوان الى ارسال رسـالة الى محمد عبدالوهاب في ١٨ تموز ١٩٣٢ اخبـره فيهـا باطـلاع الملـك علـى رسـالته وانه لاتوجـد وظيفة شـاغرة حاليـا (ملفات البـلاط الملكي، الملفة ١٣١، الوثيقة ١٩ سنة ١٩٣٢)..

روى محمـد عبدالوهـاب احـداث زيارتـه للعـراق في مجلة (الكواكب) المصرية التي صدرت في عام ١٩٤٧، وتحدث عـن حادثتين اثرتـا فيه كثـيرا، الاولى عندما دعـي للغنـاء في القصـر الملكي بحضـور الملك فيصـل الاول وولي عهـده الامـير غـازي وعـدد مـن الـوزراء وكبـار موظفـي الدولـة، وقـد انشـد في هـذه الحفلة قصـيدة (ياشـراع وراء دجلة يجري) وعندما مثل بين يـدي الملك بعد الغناء سـمع من جلالتـه كلمات الاطراء والثناء مما كان مدعاة فخر واعتزاز له.

امـا الحادثـة الثانيـة فهـي كمـا يرويهـا عبدالوهـاب انـه خـلال عودته مـن العـراق في طريقه الى سـوريا اصـاب عطل سـيارته التي كان يسـتقلها بصحبة احد افراد فرقته الموسـيقية فاضـطر للتوقف في الصحراء العراقية ريثما يتم اصـلاح الخلل، بينمـا واصلت بقية السيارات سيرها الى دمشق.

وقـد اسـتغرق اصـلاح الخلـل بعضـ الوقـت فترجل عبدالوهاب وزميله من السـيارة وسـارا في الصحراء علـى غـير هدى، حتـى فاجأهمـا في جوف الصـحراء اعرابيـات يتمنطقـان بالاسـلحة النارية، ولمـا اقتربا منهما صـاحا بهم ، من انتما؟ رأى عبدالوهاب ان يكتم اسـمه عنهما خوفا ان يعتقـد الاعرابيان انهما يحملان ثـروة، ولكن زميل عبدالوهاب لم يأبه بذلك وقال لهما: ان هذا الشـخص هو المطرب المصـري المشـهور محمد عبدالوهـاب، وسـرعان ماتغـيرت ملامـح الاعرابيان واتسـمت علـى ثغرها ابتسـامة الاعجاب وقـالا: انت عبدالوهـاب الـذي يغني علـى ليلى ؟ لقد سـمعناك في الحضـر كثيرا وانت تغنـي في الفونوغـراف ثم اكرم الاعرابيـان وفـادة الرجلـين، وهيـأ لهمـا الطعـام ثـم غنـى لهمـا عبدالوهاب بعضـ اغانيه الرائعـة من باب الاعتراف بالجميل .

وقد ساهم في اقامة المعرض الزراعي الصناعي ممثلو الوزارات جميعا، واختـيرت بناية الجمعية الزراعية الملكية والاراضي المجاورة لها في منطقة الباب المعظم محـلا للمعرض الذي افتتحـه الملك فيصـل الاول في الاول من نيسان ١٩٣٢..

وسـميت الارض التي اقيـم عليهـا المعرضـ (حديقة المعرضـ) اذ بقيـت بعـد انتهـاء المعرض حديقـة غناء تزورهـا العوائـل البغداديـة وتقـام عليهـا مختلـف الفعاليـات الفنيـة والادبيـة والاجتماعية وقـد اقيمت عليهـا فيمـا بعـد ابنيـة حكوميـة عديدة، وهـي اليوم تضـم دوائر بنايـة وزارة الخارجية سـابقا ثم مديرية اسالة الماء وشغلتها فيما بعد بعض الدوائر العسكرية لقربهـا مـن وزارة الدفـاع كمـا تضـم ارضـ المعرض مكتبة الاوقاف العامة ودائرة صـحة الرصافة ووزارة الاوقاف سابقا وجمعية الهلال الاحمر وجمعية حماية الاطفال، وعلى ركنها البعيد انشـأت المدرسـة الغربية المتوسطة.

وفي هذا المعرض اقيم مسرح لكي يقدم عليه الموسيقار محمـد عبدالوهـاب حفلاتـه الغنائيـة، فقـد دعـي هذا الفنـان، وهـو في مقتبـل حياتـه الفنيـة الحافلـة الى زيارة بغداد للمشـاركة في المعرض الزراعي الصناعي باحياء حفلات غنائية في امسيات الشهر الذي اقيم فيه المعرض.

وفي الحفلة الاولى التي اقيمت في اليوم الاول من ايام المعرض، انشـد محمد عبدالوهاب قصـيدة (ياشراعا) التي نظمها الشـاعر الكبير احمد شـوقي بهذه المناسبة وطلـب من عبدالوهـاب غناءهـا امام الملـك في بغداد، وفي الايـام التاليـة اعادها الفنان مع اغانيه الشـهيرة آنذاك مثل (ياجارة الوادي) و(الهوى والشباب) و(انا انطونيـو) و(ظبية الوادي) وبعضـ ادواره الغنائية، ويبدو ان الاقبال على حفلات عبدالوهاب كان ضـعيفا كمـا ذكر معاصـريها، فالفنان لم يشـتهر امـره بعد في الاوسـاط العراقية، كما ان اسعار التذاكر كانت باهظة (مـن ٥ روبيات الى ١٠ روبيات) في الوقت الذي كانت ذيـول الازمة الاقتصـادية العالميـة تنـوء بكلكلها على الوضـع الاقتصادي في العراق، ولانعدم القول هنا ان حملة (شـعبية) اثيرت ضد عبدالوهاب والفن المصري

محمد عبد الوهاب.. موسيقي المستقبل

علي عبد الأمير

في ٥ ايار ١٩٩١ وعلى صدر صفحاتها الأول، نشرت الصحف العربية الكبرى خبر وفاة آخر عمالقة الفن العربي، الموسيقار محمد عبد الوهاب . ومع استعادة ذكرى رحيله السنوية، نستعيد عبد الوهاب الظاهرة التي حفرت موقعها في الموسيقى العربية منذ أوائل القرن العشرين، ونتابع الإسم الذي بنى موسيقاه وفق نداء علمي ضارباً عرض الحائط بكل التهويل الذي كانت تحظى به الموسيقى التي تعتمد التناقل الشفاهي و"الارتجال"، وعبر هذا الدأب أدخل عبد الوهاب تغييرات عميقة أحاطت بصورة الموسيقى الشخصية وبحضوره الاجتماعي، بل ان صورته صانع ألحان من نوع نادر ظلت ملازمة له حتى قبيل رحيله، فقال كلمته الأخيرة في أغنية من قماشة الألحان الكبيرة هي "من غير ليه"، مذكّراً ايانا بأن الأساتذة من مستواه فقط هم القادرون على إدهاشنا بعمل موسيقي- غنائي كبير•

هنـا كتابة عن الرجـل – الظاهرة وعن الموسـيقي فيه، ومسـار الأغنيـة العربية حسـب طريقته، هنا سـنقدم أشياء عن أصـوله الاجتماعية والانسـانية والثقافية وبمـا يشـبه "بورتريت" شخصـي . كل هذا تحية لمن قـدم للموسـيقى العربيـة جهداً جعلها تقدم صـورة عميقة المعنى عن الإنسان العربي ولعقود طويلة .

بلـغ محمـد عبـد الوهـاب مرحلة مـن النضـج، عند أواسـط ثلاثنيـات القـرن الفائت، وفي فـترة كانت المجتمعـات العربية تتفتـح على أنسـاق جديدة في العيشـ واكتسـاب الخـبرات، بل ان ريـاح التغيير كانت وصلت الى كل مكان وبالذات في مصر، حيث العمـق الحضـاري والمعـرفي، وبـدأت محـاولات ترسـيخ "الحداثـة" في البناء الاقتصـادي الحر، وبنـاء تعليـم جامعـي بحسـب أساطين المعرفـة المعاصـرة ورمـوز النهضـة الفكريـة، ومواجهـة الهيمنـة الأجنبية في صـورتها الكولونيالية عبر المقاومة السـلمية في نشـاط سياسـي مثابر، وتنويـر جدي تولته صـحافة حـرة وحياة أدبيـة وفكرية كانت تنتج أسـئلتها المصـرية الموضـوعية ضـمن دعوات للانفتاح على الآخر والاتصال بمعارفه .

في أجـواء محتدمة كتلك، أسـس جيل النهضـة في مصـر ملامحـه العلميـة والفكريـة والاقتصـادية، وفي مجـالات الأدب والفنـون والتربيـة والتعليم، راحـت المعرفة تتقدم دون أن تصـطدم بالمؤسـسة الدينيـة والفكريـة التقليدية التي كان يشـكلها " الأزهر"، بل ان سـر قوة جيل النهضـة في مصـر، انه كان بصدد حداثة تأصيلية، فهو بدأ المغايرة من داخل تلك المؤسـسة صاحبة السطوة الدينية والفكرية والسياسـية، وكان معظم ممثلي جيل التنوير في مصر هم ممن نهلوا معارفهم الاولية من "الأزهر" .

كان عبد الوهاب أيقن ان التعبير بوسـائل فنية متقدمة عن طموحات اجتماعية بحياة افضـل، هو التحديث الحقيقي، مثلما أيقن ان مراجعته لنشـأته في وسط اجتماعي وديني وتربـوي "تقليـدي" وتقليبـه الموروث من خـلال وجهات نظر متفحصـة ونقدية، لا يعنيـان تنكره لمرجعياته الأولى مثلمـا توصـل الى قناعة من ان لا شـيء مقدسـا ولا يمكن المساس به، في تلك المرجعيات .

في أجواء وعي شخصـي كهذه، وصل موسيقارنا الراحل الى القمة، بعد رحلة عسيرة حقاً مع الغناء وتعلم الموسيقى، فمـن الكتاتيـب وحفـظ القرآن الكريم الى جلسات الصبية وترديد أغنيات الشيخ سلامة حجازي التي كانت ذائعة الصيت أيامها، الى التعرف لأول مرة على المسـرح الغنائي الذي كان يختصـر مجمل الفنون، هناك انبهر الفتى محمد عبدالوهاب بأجواء بدت مغايرة لما كان يعيش: سـادة أنيقون ونسـاء بملابس سهرة تكشـف عن المفاتن، ولكن ذلك لم يجعله مرتبكاً وهو يؤدي بعض الأغنيات بين فصول المسرحيات •

وحين قامت ثورة ١٩١٩، اغلقت المسـارح والملاهي واكثر المقاهـي، وظرف كهـذا كان بمثابة المناسـبة التي لولاها لما عرفنا عبد الوهاب موهبة موسـيقية ودراية علمية متمكنة من فنون النغم الرفيع، حيث درس بعد اغلاق المسـارح في "النادي الشرقي للموسيقى"، وهناك تعلم قواعد الموسيقى وتاريخها ومدارسـها، تعلم "النوطـة"، واتقن العزف على العود، ثم عين لاحقا مدرسـا للموسيقى والاناشيد، ثم عاد بمسـتواه الجديد، الـذي ارتقى عبره معرفـة وذائقة، الى أمسـيات الغناء في المسـارح وهذه المرة مع فرقة "مسـرح عبـد الرحمـن رشـدي" التـي تميـزت بمسـتواها الراقي وأمسـياتها الفنيـة التـي كانت تحاول ان تكـون قريبة من مثيلاتها في مسارح أوروبا•

الحـدث المؤثـر في مسـار عبدالوهاب فنيـاً وحياتيـاً كان اللقـاء بينه وبين الشـاعر أحمد شـوقي، وتكوينهما لاحقاً (١٩٢٤-١٩٣٢) ثنائياً صـاغ أحلام شـباب تلك الفترة وما تلاها، ومن خلال "أمير الشـعراء" تعرف عبدالوهاب على جهابـذة الفكر والقلم في ذلك العصـر، عبر مجالس الأدب والفكـر، فجالس طـه حسـين في جريدتـه "السياسة"، ورؤسـاء التحرير في الجرائد الكبرى وتعـرف أيضـا علـى المجموعـة المقابلة التـي كانت تشكل الضد بالنسبة لشوقي، وبحياد تام كان يراقب قوة الحوار، وادارة الصراع فكريا وثقافيا•

في جـو كهـذا تعلـم عبـد الوهـاب، رصـانة المفـردة وتأثيرهـا علـى جـو الأغنيـة حـين تجـد الموسـيقى المناسبة، فصاغ من شعر شوقي اعمالاً غنائية، لم تزل حين نسـمعها تـرن في خواطرنا وتحملنـا الى أجواء ذلك العصـر الذي بدأ صـوت عبد الوهاب مشـابها له، بسـيط تماماً ولكنـه عميق، حكاياته موجـزة ولكنها بليغة •

وصـف عبـد الوهـاب بأنـه فنـان مجـدد، وهـذا حـق، فانـه كان يجـدد حتى قوالبـه اللحنية الخـاصة به، كان تعبيريا بسـيطا، ثم صـاغ ألحاناً أصـبحت أكثر غنى في تلويناتها الموسـيقية، فكم من الزخرفـة اللحنية فيها ولكن دونما إسفاف بل دلالة لتقدم وعلو شأن في الصنعة، ولانه فنـان دائم التطلـع الى أمام، اسـتطاع ان يجدد موسـيقاه وجانبـاً مهماً مـن الموسـيقى العربية وقد لا يبـدو مفاجئاً قبولـه بتقديم اغنياته او اعادة توزيعها بشـكل جديد، ولا بد هنا من ذكر حتى سـعادته وهو يرى ألحانه وقد ادخلها الموسيقار عمر خيرت وغيره من موسيقيين عرب وأجانب في منظومـة اليكترونيـة، وحسـب طريقـة معاصـرة في التوزيع الموسيقي •

هذا الفكر الثاقب المنتمي الى المستقبل، والاتصال بالمواهب الجديـدة ومؤازرتها، جعلا عبد الوهاب احد أكثر الفنانين العـرب "تقدمية"، اذا كان الأمر معنيا بالتجديد وترسـيخ القيـم المولدة للفن الرفيع . ولم يكـن عبدالوهاب يفرط في موقع فرادته الموسيقية (حتى انه حين تعاون مع ام كلثوم، صـاغ "كوكب شرق" مختلفة، انها أم كلثوم كما في ألحانه وشخصيته، وليست كما هي صاحبة الأنا العالية والمزاج الشخصـي المتعجـرف)، وهـو كعادته، يحسـب كل شـيء بالقيراط، والداخلـون الى قاعة ألحانه الذهبية هم غيرهم خارجها، فمن ينسـى أعماله الخالـدة لراحل كبير آخر هو عبد الحليم حافظ؟، من ينسى نسجه ألحاناً تناسب صوت نجاة الصغيرة الشفاف، واخرى لبراعة معهودة عند وردة الجزائريـة، بـل وحتى صياغة لحنيـة براقـة، وان كانت نادرة، تليق بمكانة خاصة لفيروز•

"تحديـث" عبـد الوهـاب الدائم لموسـيقاه جعلـه يتقرب مـن "اقتباسـ" – نقولها بتحفظ شـديد– أعمال موسـيقية كلاسـيكية غربيـة، حـين أدخـل الى الحانـه حـركات مـن مؤلفات سـيمفونية وألحان وصياغات موسيقية أوروبية ولاتينيـة، وهـذا كان يـرده الى مسـألة معايشـة العصـر، ويقـول في حديـث لـه: "كانـت فـترات التطـور سـريعة، والزمـن عمومـا يفرضـ معايشـته ولونـه" •وكان عبـد الوهـاب مع توسـيع الفرقة الموسـيقية المصـاحبة للمغني ومـع إدخـال أكبـر عـدد مـن الآلات، حتـى الغربيـة منها، والمدافـع عـن ضـرورة المقدمـات الموسـيقية المطولة التي تسبق الغناء، كونها مدخلاً يهيئ المتلقي لرفقة غنائية يرى أصلها موسيقى قبل كل شيء•

رؤيـة عبـد الوهـاب "المسـتقبلية" جعلتـه يرسـم ملامـح الأغنيـة العربيـة على أعتـاب القـرن الحادي والعشـرين عبـر جـواب لسـؤال وجهه اليـه الناقـد والباحـث الياس سـحاب: كيـف ترى خـط تطـور الأغنية العربيـة بعد عبد الوهـاب وجيلـه؟ فيأتـي الجواب وقبـل وفاتـه بأكثر من عشـر سـنوات "الأغنية العربية ستزداد قصـرا مع الأيام، وسـتختفي القفلات المطربة التي يصـرخ لها المسـتمع آه، والتي اسـميها انا "النهايات السـعيدة" للجمل الموسيقية العربية، وسـتتعدد شخصية الأغنية أكثر فتصبح معانيها أكثر تركيزا".

الياس سحاب، كتاب" دفاعا عن الأغنية العربية" . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ١٩٨٠

" لقد تعلمّت من الشاعر احمد شوقي الكثير الكثير .. "
عبد الوهاب

لقد نال الفنان الكبير محمد عبد الوهاب شـهرته على امتداد القرن العشرين ، ويعد واحدا من ابرز عمالقة الفن الموسـيقي العربي الذي سـاهم بتطوير بعـض تقاليده ضمن مراحل زمنيـة معينة . وكان عبد الوهاب قد وصـل الى مرتبة عالية في الابداع بالرغم من انتقادات عنيفة وجّهت اليه كونه قد استلهم (ولا اقول سرق) العديد من الالحان والجمل الموسيقية الغربية والشرقية من غيره .. كان مطربا شـّنف الاذان والاسـماع بقصائده واغنياته الجميلة التي غنّاها على امتداد سـنوات حياته باسـتثناء مرحلة شـيخوخته التي قّضاها في التلحـين ولكنه اختتم حياته بغناء اغنية مطولة انشّـدت لها الاسـماع .. كـما وّلحن جملة هائلة من الالحان والمقطوعات الموسـيقية والاناشـيد الوطنية والاغاني العاطفية لعدد كبير لا يحصى من المطربين المصريين والعرب .. لعل اشهرها تلك التي غّناها اشهر المطربين والفنانين المصريين .

محمد عبد الوهاب ...موسيقار الاجيال

د. سيّار الجَميل

حياته : جذوره ودراسته وتجربته

ولـد محمد عبد الوهاب في القاهرة العام ١٨٩٦ تقريبا ، اذ لا يمكن الوقوف على حقيقة سنة مولده ، وكان والده يتعاطى مهنة تعليم الأولاد في مسجد الشـعراني بحي الشعرية في القاهرة ، فنشـأ عبد الوهاب منشـأ بسيطا بين عامة الناس ، وكان يجوب الحارات القديمة والأزقة مرتديا جلبابه البسيط مع اقرانه واصدقائه الصـغار وهـو يغني بينهـم ، اذ عرف منذ صـغره بتدفق صـوته وحلاوتـه وجماله من خلال موهبتـه الفطرية الطبيعية ويقـال انه دوما مـا كان يقلق الجيران بصـوته .. وكان هو نفسه معجبا بصـوته هو ذاته . لقد لعب القدر لعبته وطـرق الحظ بابـه فجـأة وبطريقة غريبـة عجيبة قد لا تخطـر على بـال ، ذلك إن محمـد عبد الوهاب قد تسـلق سـلم المجد اثر تجواله وارتياده رفقة اصحابه في الحي بعض الفعاليات الفنية ، اذ كانوا قـد ذهبوا إلى تياترو (= مسـرح) دار السـلام بحي سيدنا الحسين لمشاهدة تمثيلية لفرقة فوزي الجزائرلي فدخلوا الصـالة بعد أن دفع كل منهم عشرة مليمات ثمنا للتذكرة .

ولـما انتهـى الفصـل الأول من الرواية وأسـدل السـتار على الممثلـين قـام هـؤلاء الأولاد رافعـين أصـواتهم بالغناء ولكن هذا الغناء كان على سـبيل التسلية والمرح فصـفق لهم الجمهور سـخرية واسـتهزاء غير أن رئيس الفرقـة التمثيلية فوزي الجزائرلي لم يسـخر منهم ، بل تقـدم إليهم ودعاهم للغناء على المسـرح مما أثار دهشـة المتفرجين والمسـتمعين ولكن الطفل محمـد عبد الوهاب اهتـزت جوانحـه وانفعلـت قوائمـه أمام هـذه المفاجأة ووجدهـا فرصـة ان يبـيّن قدراتـه من دون ان يصـيبه وهـن او خجـل ، فصـعد علـى المسـرح وراح يغنـي مع رفاقـه فطـرب الجمهـور مـن فرقـة الأطفال وصـفق لها طويلا واسـتعاد أغانيها مرات ومرات فما كان من فوزي الجزائـرلي إلا أن اكـرم فرقـة الأطفال بشـلن كامل لكل واحد منهم وتكررت الزيارة في أيام أخرى إلى المسـرح نفسـه وتكررت الشـلنات حتى أصـبحت هذه الفرقة من مستلزمات مسـرح الجزائرلي ومن ضـرورات العرض الساهر وجزءا من كيان فرقة الجزائرلي !

وفي عام ١٩١٧ بعد وفاة الفنان الشـيخ سلامة حجازي ، نجح نجلـه عبد القادر حجازي بتشـكيل فرقة تمثيلية لتقـديم الروايات الأدبية وكان عبد القادر حجازي يقوم بالـدور الأول في التمثيـل والغنـاء ولـما كان صـوته لا يـؤدي المطلوب فكان يحرك شـفتيه ومحمد عبد الوهاب يغني اللحن من وراء سـتار ، ثم عمل محمد عبد الوهاب في فرقـة الفنان عبد الرحمن رشـدي مغنيا بين فصـول الروايات إلى جانب المطربة فاطمة قدري قتلا للوقت ولم يكـن له آنذاك معجبون يقدرون فنه وظل على هذا الحال يتنقـل من فرقـة إلى أخرى طلبا للرزق حتـى عاد أخيرا إلى فرقـة عبد الرحمن رشـدي مرة ثانية وكان بين أفراد فرقتـه عبد الخالق صـابر الذي شـغل فيما بعد منصـب وكيـل وزارة الدفـاع . وكان صـابر يجيد إلقـاء الأغاني البلدية والمواويل فشـجع محمد عبد الوهاب على الغناء والإستزادة من معرفة هذا الفن وكشف أسراره .

انتسب محمد عبد الوهاب للمعهد الموسيقي الملكي الذي كان قـد افتتح حديثا ، لكنه لم يمكـث فيه طويلا اذ انتقل إلى معهـد موسـيقي خاص وكان يزامله فيـه المرحوم مصـطفى رضا وصـفر علي اللذان احتلا فيما بعد ادارة المعهد الموسـيقي الإدارية والفنية فاسـتفاد عبد الوهاب بعضـ ثقافتـه الموسـيقية مـن تلك الدراسـات ثـم أكمل علومه الموسيقية علـى يد المرحوم الشـيخ علي الدرويش الحلبي الذي تعاقدت معه حكومة القاهرة على التدريس في المعهد الموسيقي العالي وخير النوتة الموسيقية وبدأ يستمع للموسيقى الغربية لأول مرة ويتأثر بها ..

أعماله عبر المراحل

غدا الفنان محمد عبد الوهاب يوظّف موهبته الموسيقية في خلق العديد من الانغام والجمل الموسـيقية الجديدة ومـر ابداعـه بأربعـة أدوار و مدارس ، اذ جعله الرأي العام هو المجدد الأول للغناء العربي :

فالـدور الأول ظهـرت فيـه تجديداته للطقوقة المصـرية ثـم انطلـق باغنيات "يـا جارة الـوادي" و "كلنا نحب القمـر" و "باللـه يـا ليل تجينـا" و غيرهـا فكانت هذه الأغاني من نوع خاص يسـميه الأدباء بالسـهل الممتنع ، فشـعرت الكافة و الخاصـة بأن دماً جديداً قد جرى في عـروق فـن الأغنية العربيـة و أصـبحت أغانيه على كل لسـان تـتردد ، فتزعمت هذه المدرسـة مركز الطليعة في الميدان الموسيقي الغنائي و أصبح لها أنصار و مريدون و تهافتـت شـركات الاسـطوانات علـى تسـجيل أغانيه فانتشـرت تتغنى علي كل مسـرح و أصـبحت أغانيه هي المـادة الرئيسـية في الثقافة الفنية لكل مطرب و منشـد وهاو للطرب !

أمـا المرحلـة الثانية مـن مدرسـته الإبداعيـة ، فتتمثلها الأغاني الوصفية أذ ظهرت أفلامه السينمائية و كان لها دوي هائل في ميدان الغنّاء العربي على الساحة العربية وفي اللـون الوصـفي الجديد الـذي أتى به هـذا الفنان الموهوب و الوصـف هـو إدراك سـر الكلمة و تلبيسـها اللحـن المناسـب لها و اعتمد محمد عبـد الوهاب في هذا العمـل على ذكائه أكثر من اعتمـاده و معرفته و لذا كان وصفه مجازياً أكثر من كونه حقيقيا وهكذا كانت بعض ألحانـه في بقيـة أفلامه ممنـوع الحب و رصاصـة في القلب ثم في ألحانه التي كانت لغير أفلامه !

وفي الـدور الثالث لهـذه المدرسـة الموسـيقية أخذ عبد الوهاب يلحن القصـائد الطويلة بأسلوب جديد يختلف عـن الدوريـن الأولين فظهـرت أغاني " الجنـدول " و " الكرنك " .. وكانت حدثا جديدا في ميدان الغنـاء العربي ولكن هذه الأغاني على روعتها وعظمتها لم تنس الناس أغاني الدور الأول تلك الأغاني التي رفعت صاحبها إلى زعامة الميدان الموسـيقي و الغنائي عربيا .. إنها أغان لم يداخلها التصـنيع في تركيبها و لا التقليد في هيكلها لقد كانت استمرارا لمدرسة الشيخ سيد درويش ولذا كانت قريبة من كل مزاج ومتغلغلة في كل نفس !

أمـا أغـاني الـدور الرابـع ، فلقدت هبطت عن مسـتوى الألحـان المألوفـة في هـذه الحقبـة الزمنيـة ، ولكنهـا تبقى دوما فوق المسـتوى المألوف فهو صـاحب مدرسة وصـل في الماضـي بإنتاجه إلى ذروة الجمال .. وليس معنى ذلك أن الأسـتاذ عبد الوهاب قد تناقصـت مقدرته التلحينيـة فألحانـه بقيـت جميلـة وبقي الرجل سـيدا للتلحين وذروة في الميدان الموسيقي .

ابداعاته

لحن عبـد الوهاب الكثـير من الأغـاني الخفيفة في بدء حياتـه الفنية ولكنه عندما تعرف علـى الشـاعر الشـهير أحمـد شـوقي فتحـت لـه الدنيـا أبوابـا جديـدة كانت موصـدة أمامـه فيمـا قبـل فظهـر لعبـد الوهـاب أحلى القصـائد وأطـرب الأغـاني وأمتع الألحان والخاصـة أن محمد عبد الوهاب هو رائد الموسـيقى في هذا الجيل وكانت ألحانه في أدوارها الأربعة ممتعة مطربة لسائر الأفـراد على اختـلاف أمزجتهـم وطبائعهـم وثقافاتهم ويعتبر من أسـاتذة الدور الرابع للمدرسـة الموسـيقية الحديثـة بحـق وامتياز بالرغم من تأثـره بالحان غيره وخصوصا من الغربيين بل و اقتباساته لجمل موسيقية كاملـة منهـم ، وهو بذلـك اختلف عن كل من الموسـيقار محمد القصـبجي و الشـيخ زكريا احمد و الفنان فيلمون وهبه .. انني اعتبر القصـبجي هو الفنان الوحيد الذي بقي اصيلا في تجديداته للموسيقى العربية .. في حين كان حال عبد الوهاب كما كان حال سيد درويش من قبله ، او فريـد الاطرش و الاخوين رحبـاني وكمال الطويل ومحمد الموجي وبليغ حمدي من بعده .. لقد تعامل عبد الوهـاب مع اشـهر الفنانين ، بل ويكاد يكون هو نفسـه وراء شـهرة العديد منهم . ولعـل اروع الحانه هي التي قدمها الى نفسـه ومن ثم الى فائزة و نجاة وعبد الحليم وصباح وورده وكان اللقاء بينه وبين ام كلثوم تاريخيا وبطلـب من الرئيس جمال عبد الناصـر ليقدما تاريخا مشتركا تجّلى اساسا في " انت عمري " .

خصال عبد الوهابِ

تمّيز الفنان عبد الوهاب بخصال قلما تميز بها غيره من الناس ، فهـو يهوى العزلة الى حد كبير ورفيقه الوحيد في زمنه الطويل عوده وما يسمعه من تسجيلات متنوعة من الموسيقى و الغناء .. و لا يذهب الى الاخرين اذ جعل الاخرون يقصدونه .. يهوى النوم مبكرا ليصحو مبكرا ايضـا ويعتني باكله وشـربه ونظافته وكل شـيء من حوله لأن الوسـواس يتملكه طوال حياته فهو له ادواته وحاجياتـه التـي لا يمكن لبشـر ان يمسـسها ، ويقتني العطـور وانـواع الصـوابين .. يراعي صـحته بشـكل غريـب .. يخشـى الموت ويرتعب منه ويكـره الطائرات بشكل لا يصـدق .. كان يهوى الاصـوات وسماعها وله القدرة على تمييز الجيد منها بسرعة خارقة ..

وأخـيرا اقـول ، لقـد كان عبـد الوهاب حتـى رحيله في العـام ١٩٩١ ، فنانا موهوبا وقديرا احتل مسـاحته في تاريخ القرن العشـرين بطوله ، ولم يزل وسيبقى ذكره على امتداد الزمن .

فصلة من كتاب نسوة ورجال : ذكريات شاهد الرؤية
للمؤلف سيّار الجميل

عبد الوهاب يتحدث عن الحب .. والبرد .. والحرب!

لطفي رضوان

منذ ايام عاد عبد الوهاب من اوروبا.. طاف بخمس دول فيها وقيل ان الرحلة كانت على نفقته، وقيل انها كانت"عزومة"والله اعلم.. المهم انه عاد واننا قابلناه وانه وزوجته تكلما بصراحة.

"يقولون عني انني بخيل وكسول، وسأثبت لك انهم على حق! فلتؤجل موعدنا الى الساعة السابعة والنسق مساء حتى ارتدي ملابسي مرة واحدة.. اذ انني مدعو للعشاء على مائدة دولة جميل مردم.. ولا داعي لان ارتدي"اللي على الحبل"مرتين في اليوم الواحد".

هذا ما قاله لي صديقي محمد عبد الوهاب عندما اتصلت به وطلبت منه موعدا نتحدث فيه عن رحلته الاخيرة في اوروبا.

وفي الموعـد المحدد كنـت في بيته بالزمالك.. ان تغييـرا جوهريـا قـد حـدث في الشـقة الانيقـة، فمثلا اللوحة الزيتيـة الكبيرة التي كانـت تزيـن حجـرة الاسـتقبال، لزوجتـه السـابقة السـيدة اقبـال نصـار، قـد رفعـت وحلـت مكانهـا لوحـة زيتية رائعـة لزوجته السيدة نهلة القدسي، ولن اتغزل في اللوحة، فقـد اعود اليها في فرصـة اخرى، لاعرضـها على القراء ملونة!

وشـيء آخـر تغـير في الشـقة.. القهـوة والشـكولاته.. فقد كان عبـد الوهاب لا يعني كثـيرا بتقـديم تحية لضـيوفه، حتـى يكون الخـادم خلفـه بالقهـوة و الشـكولاته وهـذا تغير خطير – في نظري – لانه سـيكلف عبد الوهاب اكثر من ثلاثة جنيهات في الشهر!

×××

ولم اجـد عبـد الوهـاب.. وجـدت زوجتـه السـيدة نهلة القدسي جالسة تدخن سيجارة وقـد ارتـدت فسـتانا انيقـا الى اقصـى حد،"شـيك"الى اقصـى حـد، ووجـدت على وجهها ابتسامتها المشرقة دائما.

قالـت لي: ان محمـد يسـتعد لاسـتقبالك وهو"مختلـس"في اختيـار ربطـة العنـق الملائمة"!

ثم ضـحكت وهي تقول:"تصور.. انني اجد مشقة في التفاهم مع مستخدمي هذا البيت.. كانني من اواسط افريقيا، مما يضطرني الى التحـدث باللغـة العربية الفصـحى.. وطبعا احس بانني شيخ معممة وانا اتحدث بها".

واسـتطردت تقول:"لـماذا لا توجـد اللهجات بين اقليمي الجمهورية العربية المتحدة!".

قلت: كيف يمكن ذلك؟

اجابت:"بان تتحدثـوا انتم بلهجتنا.. وكفى الله المؤمنين شر.. اللخبطة"!.

×××

وجاء عبد الوهاب، العريس الذي اقام الدنيا واقعدهـا عندمـا طلق وعندمـا تزوج وعندما لحن اغنيتيه الاخيرتين...

قال لي:"ان عدسـة المصـور دسيسة خطيرة تحـاول الاسـاءة الي، فقـد اظهرتنـي مـرة وكأنني"بائـع طرشـي"وليس محمـد عبـد الوهـاب.. ان رأس مالي يا صـديقي في فني وشـكل واناقتي، وقد ضـاع ثلثـا رأس المال في صـورة واحدة، لهذا ارجوك ان توصـي العدسة بي خيرا"!

وطمأنته، ثم جرى بيننا هذا الحديث..

× كيف كانت رحلتك الاخيرة؟

– ظاهرة غريبة لمستها في رحلتي.. كان الجو باردا الى اقصـي حد ومع ذلك لم اشعر به، لم اشعر"باللسـعة"التي نشعـر بها هنا من برد القاهـرة، ذلـك لان كل مـكان في هولندة مثلا مكيف.. لهذا لا نشعر بوطأة البرد ابدا..

"ثـم النظافـة يا صـديقي.. نظافة اللسـان، والبيت والشارع والسينما!

ثم تصـرفات الناسـ.. الجمهـور هناك ليس بينه صاحب عيون جريئة"!

"وقـد قابلني في لاهاي صـديقي القانوني العظيـم الدكتور عبد الحميـد بدوي ودعاني لزيارة محكمة العـدل الدولية، وزرتها خلال نظـر احـدى القضـايا الدوليـة.. وطبعـا لن اسهب، لانني لم افهم شيئا سوى ان المصري عبـد الحميد بدوي يتمتع باحترام بالغ هناك وهذا مما شرفني".

"وعرف الناس انني من مصـر.. نسوا انني موسـيقار مرموق وانني مش عـارف ايه... وتذكروا شـيئا واحدا.. انني من بلد ناصـر فكانت الحفاوة بي".

× هـل رأيت مظاهر تـدل على قرب نشـوب الحرب الثالثة؟

– رأيت مظاهـر تدل على اسـتحالة نشـوب الحـرب الثالثة.. رأيت الخـراب الذي انزلته الحـرب الثانيـة لا يـزال كمـا هـو في معظم البلـدان التـي رزتها، وسـمعت الناسـ في خمس دول زرتها، يسـتنكرون مجرد التفكير في قيـام حرب جديدة وما دامت الشـعوب لا تريـد الحـرب فثـق ان الحرب لا تجـرؤ على القيام"!.

× هل ستظهر في فيلم جديد؟

– اقول لك الحق ولا شـيء غير الحق.. انني خائـف من السـينما بعـد طول هجـري لها.. اصـبحت اخشـاها كما خشـيتها قبـل فيلمي الاول"الـوردة البيضـاء"ومبعث خوفي هو شـوق الجمهور لرؤيتي في السـينما.. ومع ذلـك فلا زلت انتظـر الفرص التـي تلائم عبد الوهاب.

×××

وانتقل الحديث الى السيدة نهلة:

× اراك لا ترتدين"الشـوال"هل انـت مـن اعدائه؟

– انـا لا احـب الشـوال.. ثـم انني لا اجري وراء اية مودة مـن المودات، انني ابحث عما يلائمني شخصـيا بغض النظر عن انه مودة او غير مودة.

× لـماذا ترافقـين زوجـك في خطواتـه.. في عمله؟

– احـب ان اقضـي معه اطول فـترة ممكنة.. وانـا لا اتدخـل في عملـه مطلقا، فقط اسـمع واري.

× وهل هي مراقبة!

– ابـدا.. انـا اعـرف مهمـة زوجـي واعـرف مهنتـه.. واعـرف انه معبود النسـاء بصـفة خاصـة، وان له معجبات لا حصر لهن.. وانا لا اغـار عليه منهن.. لان عمله يتطلب ملاطفة الناس من سيدات ورجال.

× ماذا تحبين في عبد الوهاب؟

– شخصـه.. صـوته.. فنـه.. ملابسـه... ضحكته.. تكشيرته.. كل ما فيه..

عن صحيفة آخر ساعة ١٩٦١

قد يستغرب الانسان استغرابا مذهلا عندما يعلم ان محمد عبدالوهاب الطفل ذا الثماني سنوات تزدحم في فكره اشـياء غريبـة وبعيدة عن البيئة التي يعيـش فيها، فهناك في البيت عائلة واب متزمـت وحازم في الامور الدينية، مؤمنا يؤدي الفرائض الدينية ويستنكر كل ما يخالف تقاليد العائلة لم تكن هناك مدارس رسمية انذاك، بل كتاتيب يقوم اصحابها بتعليم الاطفال الدروس الدينية والتعاليم الاجتماعية التي كانت سائدة انذاك.

لقد ارسله والده الى مكتب الشيخ (سيدي الشعراوي) بالقاهرة ليتعلم تلك الدروس التي تبحث في الامور الدينية وقراءة القران الكريم لتهيئته في الدخول الى الازهر ليسـتكمل دراسـته والحصول على الشهادة العلمية ويصبح رجلا من رجال الدين، وكانت هذه اول مشـكلة تتقاطع مع افكاره في هذه السـن المبكرة، حيث كان يعيش صراع الموانع العائلية.. الصراع الذي كان حبه للفن والغناء سـببه الاول، هذا الصراع الذي اتخذ فيما بعد شـكلا واضحا وحاسما، وبدأت العقبات تعترض طريق حياته،

صبيح الحافظ
باحث تراثي

محمد عبد الوهاب.. الفنان الذي لن يتكرر

كان حريصا على سماع المقرئين والفقهاء، وما زال يذكر الليالي التي كانت تقيمها البيوت الكبيرة والتي كان يحرص على حضورها، وان اقامة مثل هذه الليالي شيء رائع في ذلك الوقت، حيث كان يحب ان يستمع لالحان الشيخ محمد رفعت والشيخ علي محمود والشيخ منصور بدران وشجعه على ذلك اخوه الشيخ حسن الذي كان يكبره بعشرة سنين وكان له تاثير كبير على حياته. لم تكن طفولته سعيدة فقد كانت مليئة بالصراعات بين رغباته في الغناء ورغبات اهله بالامور الدينية وكان لابد ان يختار ويحدد ما الذي يريده بالتحديد، هل سيكون مطربا او ملحنا؟ وهو سيلتحق بالازهر ويسير في الطريق نفسه الذي سار فيه اخوه الشيخ حسن؟ وفي الحقيقة لم يكن الاختيار سهلا بل كان صعبا ومريرا.

وذات مرة وقف يغني في الحارة كالعادة وسط الاطفال تقدم نحوه رجل لا يعرفه وربت على كتفيه بحب واعجاب بصوته، لذلك لم يشعر عبدالوهاب نحوه بالنفور او الخوف بل احس بانه من العالم نفسه الذي ينتمي اليه وان يعيش فيه طول العمر، عالم الفن والغناء، حيث قال له محمد يوسف وهو صاحب سرك متجول في المدن هل توافق ان تغني في السرك؟ وبسرعة وبدون تفكير قال الطفل الموهوب.. اوافق، وكانت هذه البداية الاولى حيث اصطحبه الى مدينة دمنهور دون ان تعلم اسرته وفي الوقت الذي فوجئت الاسرة بغياب ابنها الصغير محمد كان هو يغني اغنية الشيخ سلامة حجازي المعروفة (عذبيني فمهجتي في يديك) والجمهور كله صامت يستمع باعجاب لذلك الطفل صاحب الصوت الساحر، ومن محاسن الصدف ان كان بين الحاضرين الفنان الكبير الشيخ السيد درويش الذي لم يكتف فقط بالتصفيق بل قام واتجه نحوه لكي يصافحه ويحييه، وعلى اثر ذلك بدأت الاسرة تقتنع بانه لا جدوى من ابعاد ابنها عن طريق الفن الذي كان يندفع نحوه باصرار عجيب رغم الضرب والتانيب ويبدو ان الاب نفسه رغم قسوته احيانا قد بدأ هو الاخر يقتنع بان الفن هو قدر ابنه ومستقبله.

وهكذا استمر عبدالوهاب يغني في المسارح وصعوده في النجاح، وقد احس بانه يجب دعم مواهبه بدراسة فنون الموسيقى فدخل معهد (برجيون) الايطالي في القاهرة لدراسة استعمال الالات الموسيقية.

استمر عبدالوهاب بالصعود والشهرة، وتمر السنين وذات ليلة وفي حفل كبير اقيم في الاسكندرية شارك الاخرين في الغناء ووقف الجمهور امام صوته الجميل باعجاب منقطع النظير حيث امتزج غناؤه مع نسمات الصيف واصوات البحر فامتع الحاضرين وصفقوا له طويلا، وسمع من يقول له ان احمد شوقي يريد ان يراك فذهب عبدالوهاب وصافح امير الشعراء وقبل يده، وقال له شوقي عندما تعود الى القاهرة مر علي ومن يومها لم يفارقه عبدالوهاب حتى لحظة وفاته.

لا يكفي ان نقول ان محمد عبدالوهاب هو معجزة الموسيقى والغناء في تاريخنا المعاصر فقد شبع عبدالوهاب مديحا واطراء تبجيلا لفنه العظيم طيلة سنوات قاربت السبعين عاما، لقد استطاع بقدراته الفذة ان يجمع بين القديم والجديد وبالمزاوجة الماهرة التي اعتمدها في تطوير فنه.

ان هذه الخاصية الفريدة التي تميز فيها هذا الموسيقار الكبير هي التي اتاحت ان يتربع على قمة الموسيقى والغناء في وطننا العربي، وذلك ان موهبته الخلاقة التي لم نجد لها نظيراً في تاريخ الموسيقى والغناء، فساقته هذه الموهبة الى ان يزيد من دراسته الموسيقية لانه كان يعرف ان الموهبة من دون ان تدعم بالعلم هي كالفقاعة تبدد كبيرة ومؤثرة في بادىء الامر ولكنها لا تلبث ان تتبدد ولا تترك وراءها الا فراغا، وقد تعلم عبدالوهاب فنون الموسيقى في معهد النادي الشرقي (معهد فؤاد الاول للموسيقى العربية) التي اتاحت له فرصة ادخال الالات الغربية في التخت الشرقي منها البيانو والة (القيثار) التي استعملها في المقدمة الموسيقية لاغنية (انت عمري) لام كلثوم فقد ايقن بعمق ذوقه الرهيف حيث تركت هذه المقدمة الرائعة اثرا لا ينسى في نفس المجتمع العربي.

ان عبدالوهاب لم يكن انانيا وحصر الحانه بشخصه فقط بل منحه لكثير من المطربين والمطربات الذين اشتهروا بواسطة الحانه هذه، حيث اول من غنى من الحان عبدالوهاب هي منيرة المهدية وياسمين الخيام اخر المطربات، وحامد مرسي كان اول مطرب غنى لعبد الوهاب، وكذلك محمد عبد المطلب الذي كان يعمل مرددا في تخت عبد الوهاب، كذلك عبدالغني السيد واسمهان في اوبريت مجنون ليلى، كذلك غنت له ليلى مراد في فيلم يحيا الحب (ياما ارق النسيم) و(تمخطري وتمايلي يا خيل) و(الحب جميل) و(عيني بترف) مع نجيب الريحاني في فلم غزل البنات غنت نجاة علي في فلم (دموع الحب) (يا فرحة القلب المشتاق) و(صعبت عليك) كذلك غنت له رجاء عبدو (البوسطجية يشتكو) و(حتفوتني لمين) و نجاة الصغيرة غنت (ايظن) و(ساكن قصادي) وغنت فائزة احمد (ست الحبايب) و(بريئة) وكثير من غنى لعبدالوهاب لا استطيع تعداد هؤلاء منهم وردة الجزائرية وشادية وفيروز وهدى سلطان وفايدة كامل وشهرزاد وعبدالحليم حافظ غنى له الكثير ولكن ابرزهم كانت ام كلثوم حيث غنت له (انت عمري) و(امل حياتي) و(فكروني) و(انت الحب) و(هذه ليلتي) و(دارت الايام) واخر اغنية غناها عبدالوهاب بصوته وقبل وفاته كانت (من غير ليه).

اما الحانه لنفسه فهي لا تعد ولا تحصى فهي تعد بالمئات ولكن لا باس ان اذكر بعض هذه الروائع وابدعها في الاغاني القصيرة منها (جفنه علم الغزل) و(عندما ياتي المساء) و(يا دنيا يا غرامي) و(الليل لما خلي) و(سهرت منه الليالي) و(مريت على بيت الحبايب) و(حكم عيون) مع راقية ابراهيم اما في ساحة الموال منها (كل الي حب اتنصف) و(امانة يليل قل للفجر يستنى) و(شجاني نوحك يا بلبل) وغيرها.

اما روائعه في الاغاني الطويلة هي (الكرنك) و(حياتي انت) و(كليوباترا) و(دعاء الشرق) و(الجندول) وهذه الاخيرة كانت وراءها قصة يرويها مؤلفها المهندس علي محمود طه فيقول: كنت وبعض الاصدقاء نجلس في مقهى في مدينة فينيسيا، وقد لاحت لي فتاة شقراء مقبلة الينا، وعندما اقتربت منا اعترضت طريقها مبهورا وحييتها بعد ان اعتذرت لها من تصرفي وقلت لها كان ذلك بفعل جمالك الباهر فابتسمت وقبلت الاعتذار، فطلبت منها ان تشاطرنا الجلوس فقبلت، ثم اخرجت دفتري واخذ القلم يكتب وانا انظر اليها مشدوها ولم يتوقف القلم حتى انتهيت من كتابة تلك اللوحة الرائعة التي سميتها (الجندول) ومطلعها..

اين من عينيك هاتيك المجالى
يا عروس البحر يا حلم الخيالى
اين عشاقك سمار الليالي
اين من واديك يا مهد الجمالى

حتى بلغت ابياتها اكثر من عشرين بيتا منها ايضا:

ذهبي الشعر شرقي السمات
مرح الاعطاف حلو اللفتات
كلما قلت له خذ قال هات
يا حبيب الروح يا انس الحياة

وقبل ان نفترق اعطيتها بطاقتي الشخصية (كارت) ودعوتها لزيارة مصر بدعوة من الملك فاروق حيث كنت مخولا بهذا التصرف، وفعلا بعد حين زارت الشقراء البولونية مصر وشاهدها عبدالوهاب وذهبت بعدها الى دائرة البريد وارسلت (تلغراف) (برقية) الى عبدالوهاب وطلبت منه ان يتهيأ لتلحين قصيدة الجندول الرائعة.

اما في مجال السينما فانه انتج سبعة افلام غنائية قام ببطولتها وغنى فيها اروع الاغاني واجملها وهي (الوردة البيضاء) مع النجمة (سميرة خلوصي) و(دموع الحب) مع نجاة علي و(يحيا الحب) مع ليلى مراد و(يوم سعيد) مع سميحة سميح و(ممنوع الحب) مع رجاء عبدو و(رصاصة في القلب) مع راقية ابراهيم و(لست ملاكا) مع نور الهدى علما ان هذه الافلام لا تزال تعرض في دور السينما ومحطات التلفزة وتدر ايرادات كبيرة لورثته المتمثلة بشركة (صوت الفن).ان اخر فلم اشترك فيه هو (غزل البنات) مع المطربة ليلى مراد ويوسف وهبي ونجيب الريحاني وانور وجدي غنى فيه رائعته الشهيرة (عاشق الروح).

محمد عبد الوهاب صناعة شوقيّة؟

هالة نهرا

كيف كان ليكون محمّد عبد الوهاب من دون أحمد شوقي؟ سؤال يطرحه جهاد فاضل في كتابه «محمّد عبد الوهاب ــــ بين التقليد والتجديد» (رياض الريّس). لولا شوقي لما كان ــــ في اعتقاد فاضل ــــ ممكناً أن ينتزع عبد الوهاب مكانته المرموقة. كان يحتمل أن يبقى مطرباً تقليديّاً ومحافظاً على غرار الحامولي وعبد الحي حلمي. صداقة «موسيقار الأجيال» مع «أمير الشعراء» فتحت له أفقاً معرفيّاً وفنياً جديداً، ما حضّه على التجديد في الألحان العربية عبر مزجها بالموسيقى الغربية. كان ليبدو تحليل فاضل مقنعاً لولا أنّه خلص إلى استنتاج أنّ عبد الوهاب «صناعة شوقيّة».

لكن هل يمكن أحداً ــــ مهما بلغ تأثيره ــــ أن يصنع موسيقيّاً؟ رغم أهمّية ما يطرحه الكاتب من الناحية التاريخية والتوثيقية، إلا أنّه ينزلق إلى مطبّ الغلوّ، ولو استند إلى أقوال عبد الوهاب نفسه. إذا سلّمنا باستدلال فاضل، فلن تعدو فيروز في هذه الحالة كونها «صناعة رحبانية» (!)، وستكون أم كلثوم صنيعة الشيخ أبو العلا محمّد، وأحمد رامي، والقصبجي... ما يمثّل جزءاً من الحقيقة لا الحقيقة كاملة. من المؤكد أنّ شوقي أدخل عبد الوهاب إلى فضاء الشعر، وحثّه على تحديث الأغنية المصرية والعربية... لكن ذلك لا يعني أبداً أنّ شوقي «صنع عبد الوهاب».

سرعان ما إستدرك فاضل قوله، ثمّ عاد إلى تبنّيه مجدداً. وقد صرّح في مستهل الكتاب بعدم دقّة هذا الكلام، ما أوقعه في فخّ التناقض. كان همّ الكاتب الردّ على بعض الكتابات النقدية المغرضة، وتفنيد مغالطات عباس محمود العقّاد الذي عدّ عبد الوهاب بين «جماعة اللصوص الظرفاء»، بسبب كرهه لشوقي و«مطربه» عبد الوهاب. لكن تقويم فاضل لم يترافق مع أيّ محاولة لمقاربة نتاج الموسيقار من زاوية نقدية.

يروي الكتاب تفاصيل العلاقة التي جمعت بين شوقي وعبد الوهاب: «كان عبد الوهاب (...) سكرتيراً ومطرباً وصديقاً لشوقي. لم يكن قد أصبح عبد الوهاب الذي عرفناه بعد، كان فتى وسيماً غضّ الإهاب، ممشوق القامة». هنا يمكن التساؤل: هل وصف الكاتب لملامح عبد الوهاب في صباه هو بمثابة تلميح إلى العلاقة المثلية بين الشاعر الكبير والمطرب الجذّاب؟ يستشهد فاضل بحوار أجراه سعد الدين وهبة مع عبد الوهاب (من كتاب «النهر الخالد»): «(شوقي) كان يدلّع فيّ: حَ نروح فين يا محمّد؟ حَ نتعشّى فين يا محمّد؟». وقد شبّه عبد الوهاب علاقته بشوقي «بعلاقة بين حمامتين أو عصفورتين تلازم إحداهما الأخرى طيلة الوقت...».

من ناحية أخرى، أفرد الكاتب مساحة كبيرة لمغامرات عبد الوهاب مع النساء، وعلاقته بأمّ كلثوم والأخطل الصغير. ولعلّ أهمّ ما يشتمل عليه الكتاب هو «الأوراق الخاصة جدّاً» التي كتبها عبد الوهاب في سنواته الأخيرة، ونشرت في كتاب لفاروق جويدة. قوّم عبد الوهاب تجارب مجموعة من المؤلّفين والمطربين البارزين، فبدا شاهداً على عصر ذهبي وناقداً محترفاً أكثر منه فنّاناً.

من هنا لا يعود مستغرباً اعتراف الموسيقار بأنّ «السنباطي هو عوّاد نادر الوجود»، وأنّ بليغ حمدي «ملحّن صالون وشارع (...)، وتجاري في فنّه مع ما يستلزمه ذلك من السرعة وعدم التأمّل في تركيب العمل ككل». كذلك رأى عبد الوهاب حينها أنّ كمال الطويل كان «يحاول أن يفعل شيئاً، لكنّه لم يصل إليه بعد»، وأنّ «فيروز أكفأ من غنّى الأغنية القصيرة»... فيما عدّ صوت وردة الجزائرية «متوحّشاً يغنّي على مزاجه».

يلفت الجزء الأخير من الكتاب إلى شفافية عبد الوهاب، وجرأته، ورغبته في خرق القواعد الراسخة، إذ إنّه لم يخش القول في أحد حواراته إنّه حاول تنغيم القرآن الكريم، وتعثّر في مُوَسّقة «الكرنك». ربّما كان كتاب «محمّد عبد الوهاب ــ بين التقليد والتجديد» لا يشبع القارئ النهم، إلا أنّه يسلط الضوء على مناطق معتمة في مسيرة أحد أبرز الموسيقيين المصريين والعرب، وأكثرهم صراحة.

عن جريدة الاهرام المصرية

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني
خالد خضير

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

نـوري السـعيد.. والمطـرب محمد عبد الوهاب

كمال لطيف سالم

دأب نوري السعيد رئيس وزراء العراق الاسبق، بصورة خاصة على فتح الراديوعلى الاذاعة العراقية حالما يستفيق صباحا لسماع نشرة الاخبار الاولى. و بعد ان يطمئن ان كل شيء على ما يرام، يبدأ بتناول افطاره وهو يستمع الى اغاني الصباح.

و كانت قراءة الاخبار محصورة بين حافظ الدروبي و موحان طاغي.

انتهى موحان من قراءة نشرة الاخبار الصباحية ثم مضى ليقدم مجموعة من الاغاني الصباحية، كانت الاغنية الاولى اسطوانة محمد عبد الوهاب الشهيرة "جبل التوباد حياك الحيا" كان على الطرف الآخر نوري السعيد يستمع مع الوف العراقيين الى برنامج الصباح و ما ان سمع المقطع الاول من تلك الاغنية حتى تملكه الغضب و ادار قرص الهاتف على دار الاذاعة العراقية و طلب مديرها محسن محمد علي الذي لم يكن موجودا، كان الوقت مبكرا و المدير ربما غارقا في نومه.

فاضطر نوري السعيد ان يسأل عن المذيع، منو هذا اللي كان يذيع؟ قالوا له انه موحان طاغي. قال اريد حضوره الان، قولوا له رئيس الوزراء يريد أن يكلمك. اسرع السيد موحان الى التلفون و التقط السماعة مضطربا. ما الذي فعله يا ترى ليجعل رئيس الوزراء يطلب مخاطبته في هذا الصباح الباكر، و لم يكن بعد قد تناول حتى استكان شاي يبلل به ريقه. التقط السماعة و اجاب: "نعم سيدي." فجاء صوت الباشا يهدر من الطرف الآخر:

وين ذوقكم انتو كلكم يا اللي تشتغلون بالاذاعة، الناس بعدهم على ريقهم و انتوتسمعوهم جبل التوباد؟ تريدون تجوهم من الصباحيات؟ يعني ماكو اغنية بالدنيا فيها شوية فرحة و استبشار حتى تسمعوهم هالأغاني؟؟. يا ولدي موحان، خلونا نسمع شي يفرحنا. اغاني عراقية مثل على شواطي دجلة مر، وللناصرية للناصرية، تعطش واشربك ماي بجفوف ايديه، بستات عراقية تونس الناس.

لم يكن بيد السيد موحان طاغي غير ان يعتذر لرئيس الوزراء ، ثم يعد نوري السعيد ان يبلغ الآخرين بكلامه بحيث لا يتكرر ذلك في المستقبل.

بين عبدالوهاب وأم كلثوم

د. حسن مدن

ألحّ جمال عبدالناصر أكثر من مرة على الموسيقار محمد عبدالوهاب والسيدة أم كلثوم، أن يقدما عملاً مشتركاً يلحنه الأول وتغنيه الثانية، وحين يصدف أن يلتقيهما معاً في مناسبة من المناسبات يكرر رغبته: «يا جماعة إحنا عايزين نسمع حاجة منكو انتوا الاثنين».

ونفهم من السرد الذي عرضه جهاد فاضل في كتابه عن محمد عبدالوهاب أن هذا الأخير هو من كان يتحاشى الإقدام على ذلك، ففي حين كانت أم كلثوم ترد على عبدالناصر: «وأنا مالي؟ قل له»، فإن رد عبدالوهاب يأتي ماكراً: «حاضر يا أفندم.. إن شاء الله بس نلاقي كلام».

كان عبدالوهاب يعرف مدى سطوة أم كلثوم، وصرامة تعاملها مع من لحنوا لها، تماماً كما هي الحال مع الشعراء الذين غنت لهم، حيث تطلب تغيير مفردات وأبيات حين لا تروق لها، وتطلب تعديلات على الألحان بما تجده مناسباً لها.

لم يكن عبدالوهاب المعتد بفنه ونفسه يطيق أن يتدخل أحد في ألحان يضعها، حتى لو كانت أم كلثوم نفسها.

ولم يُخف أنه لم يكن لديه الاستعداد للمضي في التلحين لأم كلثوم لولا إلحاح عبد الناصر، فهو لن يرضى بأن تكون ألحانه لها مجرد تنويع على «الستايل» الكلثومي المعروف، وإنما يريد لحناً بروحه هو التي يعرفها الناس، وهو أيضاً ليس في وارد أن تعامله كما تعاملت مع بقية من لحنوا لها.

ينقل جهاد فاضل أن أحمد الحفناوي الذي أصبح رئيس الفرقة الموسيقية لأم كلثوم سمع لحن عبدالوهاب لقصيدة أحمد شفيق كامل «شوقوني عينيك لأيام اللي راحوا»، فبادره بالقول إن اللحن يناسب أم كلثوم، دون أن يلمس من عبدالوهاب حماساً للفكرة، ولكن الحفناوي نقل الأمر لأم كلثوم التي اتصلت من فورها بعبد الوهاب، وبعد تمنع ودلال منه وافق على أن تزوره وتسمع منه اللحن.

لم تسلم القصيدة المغناة من تدخل «الست»، فأحضر الشاعر الذي غيّر كلمة «شوقوني» إلى «رجعوني»، ولم يقف تدخلها عند حدود القصيدة، إنما طال أجزاء من اللحن أيضاً، وبشكل خاص اعترضت على إدخال عبدالوهاب لآلة الغيتار، مصممة على أن يحل العود مكانه، قائلة باستهجان: «جيتار ياعبد الوهاب؟»، وهو ما رفضه عبدالوهاب بشدة.

لحل الخلاف بينهما اقترحت أم كلثوم الاستعانة بصديق، هو محمد القصبجي، ليفتي في الأمر، وافق عبدالوهاب على ذلك، قائلاً: إن القصبجي أستاذه، ولكنه في قرارة نفسه كان مطمئناً إلى أنه سينحاز لرأيه لما يعرفه عنه من ميل للتجديد.

أفتى القصبجي بما كان عبدالوهاب قد توقعه منه. وبعد شيء من المكابرة وافقت أم كلثوم على رأيهما، ليبدأ بينهما التعاون الذي تأخر سنوات.

عن صحيفة الخليج